(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الاول, الصفحات 399-405

التبرير في الشعر العربي القديم

(المهلهل بن ربيعة وعروة بن الورد انموذجا)

م.د. فاطمة لامي عبد [1]*

[1]جامعة سومر، كلية التربية الاساسية ، ذي قار، العراق

الملخص:

لم يخلو الشعر الجاهلي من التبرير، إذ إن وجد في طيات القصائد التي انطلق بها الشعراء للتعبير عن الغرض الشعري الذي يحول في خاطرهم من مديح، وعزل، وفخر، وهجاء، ومواضيع التبرير متنوعة وكثيرة فمنها ما يبرر الشاعر عن الأحداث التي يرتكبها هو أو قومه بأنها رد فعل طبيعي والهدف منها الدفاع عن النفس ويقنع نفسه والاخرين بهذا الأمر، والشواهد في هذا الموضوع متنوعة وعديدة وسنقتصر البحث على شاعرين من شعراء العصر الجاهلي البارزين (المهلهل بن ربيعة) وتبريره في الحرب، و(عروة بن الورد) وتبريره في خروجه إلى الصعلكة.

الكلمات المفتاحية: التبرير، الشعر الجاهلي، المهلهل، حرب البسوس، عروة بن الورد.

Justification in Pre-Islamic Arabic Poetry: Al-Mohali ibn Rabi’ah and ‘Urwah ibn al-Ward as Models

Lecturer Dr. Fatima Lamei Abed[1*]

[1]University of Sumer, College of Basic Education, Thi Qar, Iraq

Abstract:

Pre-Islamic poetry was not devoid of justification, as it was embedded within the verses through which poets expressed their poetic purposes, including praise, love, pride, satire, and more. The themes of justification are diverse and abundant, often serving as a means for poets to rationalize their actions or those of their tribes as natural reactions aimed at self-defense. Through their poetry, they sought to convince themselves and others of the legitimacy of their deeds. The evidence supporting this theme is extensive, but this study focuses on two prominent pre-Islamic poets: Al-Muhalhil ibn Rabi’ah, who justified warfare, and ‘Urwah ibn al-Ward, who rationalized his transition into brigandage.

Keywords: Justification, Pre-Islamic Poetry, Al-Muhalhil, Warfare, ‘Urwah ibn al-Ward.

المقدمة:

تعددت الحروب في العصر الجاهلي بين القبائل المتباعدة، بل حتى بين القبائل التي تربطهم أواصر الدم والنسب، إذ كانت تُثير الحرب بسبب مصالحة القبيلة أو في الدفاع عنها أو عن شخص فيها، أو عن مرعى أو بركة ماء أو من أجل

* **Email address: Fatima.lamei.abed@uos.edu.iq**

الغنائم ومن بين الحروب التي حصلت في عصر ما قبل الاسلام حرب البسوس التي سفكت دماء كثيرة واستمرت مدة طويلة من الزمن طحنت أرواحا لا ذنب لها؛ بسبب حرب على أشعلت على ناقة وفي هذه الحرب نقف على شعر المهلهل بن ربيعة اخ كليب الذي قتله جساس بن مرة، إذ يرى المهلهل أن جميع دماء بني مرة لا تساوي قطرة من دم كليب ويبرر في شعره عن موقفه وسبب قتله المستمر من دون انقطاع ولا يقبل الصلح او أخذ الدية بل مستمر بالقتل متى بعد أن قُتل جساس، كما ظهرت مجموعة اتخذت السلب والنهب طريقاً لها مبررة عن موقفها هذا بأنه حاجة إنسانية ومتمثلة بالشاعر عروة بن الورد.

التبرير لغة "تبرير إيراد الاعتذار، ذكر الاسباب الموجبة: دفاع: "تبرير فلان"، "تبرير الجريمة" ما يكون بمثابة سبب مجبر أو مشروع ما هو بمثابة عذر ومسوغ" يعد التبرير وسيلة دفاعية عن النفس يستعملها الشخص لكي يبرر عن فعله أي تفسير لسلوكه الخاطئ تفسيراً منطقياً معقولاً ويقدم اعذار مقبولة. مثلاً: هناك من يرى صفة البخل نوع من أنواع الحرص وأن الكرم تبذير، كما أن التبرير يختلف عن الكذب، لأنه لا شعوري ويقوم الفرد بخداع نفسه في أن سلوكه صحيح، في حين أن الكذب صفة شعورية ويقوم الفرد بخداع المقابل (١)

كما يعد التبرير حيلة من حيل الدفاع تأخذ شكلاً من أشكال المنطق؛ لكي تقوم بخداع الذات والضمير حتى تقلل الشعور بالذنب ويقوم الفرد بتقبل سلوكه الخاطئ(٢). ونجد هذا السلوك عند كثير من الشعراء في العصر الجاهلي ومنهم المهلهل عند مقتل أخيه كليب في حرب البسوس إذ لم يكتفي بقتل شخص أو لكثير بل قام بقتل كل من يجده أمامه حتى الاطفال والنساء منطلق من فكرة لا يوجد من يسد دم كليب إذ قال(٣):

أَكثرَتُ قَتلَ بني بَكرٍ بِرَبِّهم* حَتَّى بَكَيتُ وَمَا يَبكِي لُهُم أحَدُ

آليتُ باللهِ لاَ أرضَ بِقَتلِهم حَتَّى أُبَهرِجَ بَكراً أَينما وُجِدُوا

يبرر المهلهل في هذه الأبيات عن سفك دماء بني بكر بلا رحمة ولا تردد، ويجعل من موقفه وفعله أمر بطولي، بل يشجع نفسه على الزيادة في القتل، إذ يتخذ هنا التبرير كحيلة للدفاع عن فعله متخذ شكلاً منطقياً يعمل على خداع الذات لكي يخفف الشعور بالذنب بقتله هذا، ولكي يجعل نفسه تتقبل كل هذه الدماء(٤).

وقال في ابيات أخرى يبرر قتله لبني بكر لأنهم هم الذين بدأوا بالقتل اي انهم قتلوا سيدهم كليب ويرى أن فعله هذا مجرد الأخذ بالثأر(5):

فَقَتلاً بتَقتيلٍ وَعَقراً* بعقرِكُم. جَزَاءَ العُطاسِ* لا يَمُوتُ مَن اثَّأَر*

وظاهر النص يوحي أنه يُريد فقط أخذ الثأر رجل برجل وينتهي الموضوع وتندثر الحرب، ولكن باطن النص يكشف لنا بطشه في سفك الدماء وعدم الاكتفاء بأخذ الثأر فقط.

ولما أراد الحارث بن عباد التدخل لكي يحقن ما تبقى من دماء بين أبناء العمومة، وقدم ابنه بجير فداء لوقف نهر الدم، وقدم المهلهل إلى قتله مبرراً على فعلته هذه أن بجير لا يساوي كليب، بل حتى (شسع نعل كليب)، فكليب السيد الذي لا يضاهي أحد حسب نظر المهلهل كيف يقبل بدم بجيير الذي لا يساوي شيء بنظر المهلهل، فنطلق يقول المهلهل لبجير بن الحارث (بؤشع كليب).

عندما يتصرف الفرد تصرفاً غير مقبول على الاطلاق يلجأ دائماً إلى التبرير متخذاً منه ذرعاً لكي يحمي تصرفاته، كما يخلق اسباب غير منطقية نتيجة الصراع الداخلي بين ما يريد فعله وما يريد تحقيقه وهذا الصراع يجعله يخطط لأفعاله بكل دقة لكي يستطيع تحقيقها من دون لوم من أحد(6) قال المهلهل:

فَقُلتُ لَهُ بُؤْ بِامرِىءٍ لَسْتَ مِثلَهُ وإن كُنت قُنعاناً لِّمَن يَطلُب الدَّمَا

لم يترك المهلهل التبرير عن أفعاله بل برر كل فعل وقتل قام به وانه عادة أساسية في حياتهم عند اخذ الثأر ولا يترك ثأر كليب ابد مهما حصل بل لا يشفي صدره ابد من أعدائه وأنه سيمحوهم عن وجه الأرض مهما كلفه الأمر.

وقال(7):

كُلُّ قَتِّيلٍ في كُلَيْبٍ خُـــــــــــــلَّام حَتَّى ينَالَ القَتلُ أل هَمَّـــــــــــام

اي شخص في بني همام مهما بلغ من المرتبة لم يجده المهلهل كفوء بدم أخية بل يجد أن بني همام كلهم لا يساوي دمهم قطرة من دم كليب.

ويبقى التبرير الحجة الاقوى عند من تضيق عليه الدائرة ونجد التبرير عند شاعر اخر من شعراء العصر الجاهلي (عروة بن الورد) قال لزوجته(8):

اقلي علَّى اللوم يا بنت مُنذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

ذريتي ونفسي أمَّ حسَّان إنني بها قبل أن لا أملك البيع مُشتـــــــــــري

أحاديث تبقى والفتى غير خالدِ إذا هو أمسى هامة فوق صُيـــــــــــــرِّ*

تجاوبُ أحجار الكِناسِ، وتشتكي إلي كلّ معروفٍ رأته، ومُنكَـــــــــــــر*

ذريتي أطوف في البلاد لعلني أخليك أو أغنيك عن سوء محضَــري*

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن جزوعاً، وهل عن ذاك، متأخـــــــــــر؟

وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعدٍ لكم خلف أديار البيوت ومنظـــــــــــر*

تقول لك الويلاتُ، هل أنت تاركٌ ضبواً برجلٍ، تـــــــــارةً، وبمنســـــــــرِ

بما ان التبرير" هو تقديم أسباب تبدو معقولة ومنطقية لما يصدر عن الفرد من أنماط سلوكية خاطئة، وهو ايضاً التشبث بأعذار توحي للآخرين أنها صحيحة ومقنعة ولكنها ليست حقيقية، كأن يبرر الفرد فشله في الوصول إلى هدف كعين بأن هذا الهدف غير مجد ولا يستحق بذل الجهد، فالتبرير حيلة يلجأ إليها الفرد ليتخلص من الشعور بالقلق أو التهديد المرافق لمواقف الفشل، وهو وسيلة تساعد الفرد ليحافظ على احترامه لنفسه ويتجنب الشعور بالإثم"(9) لهذا يبرر خروجه إلى هذا الطريق على الرغم من المخاطر والصعوبات لكنه لديه مسوغ يقنع به زوجته، ففي هذه الأبيات يتحدث فيها عن إجباره على هذه الحياة على الرغم من الأخطار التي تحيط بها فالقصيدة من بدايتها تتحدث عن الحوار بينه وبين زوجته فهي تكثر

عتابه على المخاطرة بنفسه وحياته، وتطلب منه أن يترك هذا الطريق ويجلس في بيته بين اهله، ويتخلى عن الصعلكة التي نهايتها مؤلمة، فكان جوابه إليها باستهزاء تنم عن الإصرار وعزمه وخوضه هذه الحياة(10).

ويكمل تبريره لها بقوله: ذريتي اي "اتركيني أفعل ما أريد قبل أن يسبقني الزمن فاغدو عاجزا عن البيع والشراء لذلك دعيني ابذل نفسي في سبيل المجد والذكر الحسن، فكل إنسان فان لا محالة ولن يبقى إلا الذكر الحسن"(11)

نجد القوة لدى عروة وتمسكه بالصعلكة من دون أي تردد إذ يمنح النص الشعري كلام في التبرير قوي ينم عن روحه الصارخة ضد الظلم ورغبة في مواجهة المجتمع والفقر.

وبعد أن قدم مجموعة من التبريرات لحياته الجديدة التي يجدها ترتبط بالإنسانية اتجه يقدم مجموعة من المسوغات الاخرى قائلاً(12):

لحا الله صعلوكاً إذا جن ليلهُ مصافي المشاشِ آلفاً كل مجزر

يعد الغني من نفسه كلّ ليله أصابَ قِراها من صديق ميسر

ينام عِشاءً ثم يصبح ناعساً يحثُّ الحصى عن جنبه المتعفر

قليل التماس الزادِ إلا لنفسه إذا هو أمسَى كالعريش المجور

يّعينُ نساء الحي ما يستعينّه ويمسي طليحاً، كالبعير المحسر

قدم في هذه الابيات مجموعة من المبررات التي تخص حياته الجديدة مبررات تجلت بالإنسانية، وقدمها في لوحة مثلت صفات الصعلوك الذي لا خير فيه لا يهمه سوى الاكل ويهدر وقته تفكيراً في سد جوعه فقط، ولا يعمل أي فعل كما أنه يشبهه البعير الضامر فهذه الصورة السلبية للصعلوك المتخاذل (13) وفي المقابل قدم الصعلوك الثأر الذي لا يخشى شيء قائلا(14):

ولكن صعلوكاً، صفيحة وجهه كضوءِ شهاب القابس المتنور

مُطلاً على أعدائهِ يزجرونه بساحتهم زجرَ المنيح المشهور

إذا بَعُدوا لا يأمنون اقترابَه. تشوف أهل الغائب المتنـــــــــظّر

فذلك إن يلق المنية يَلقها حميداً، وان يستغنِ يوماً، فأجدِر

هذه الصورة الثانية قدم فيها عروة لوحة فنية تحمل صفات الصعلوك الذي يرفض الذل والخضوع، وجهه يضيء مشبهاً إياه بالشهاب المنير، يخاف منه الأعداء لا يترك الغزو في سبيل العيش والحصول على ما يُريد وإذا مات يكون موته حميداً محموداً (15).

بين الصورة الأولى والثانية تناقض كبير جداً وهذا ما أراد عروة توضيحه لزوجته والمجتمع، الصورة الاولى قدم بها مجموعة من المبررات:

صعلوك همه الاكل فقط

يساعد نساء القبيلة في اعمالهن صعلوك متخاذل ذليل

لا يفكر بالغزو

لا يهتم للمستقبل

الصورة الثانية:

يرفض الذل والخضوع

يغزو من أجل العيش بكرامة

لا يتنازل عن حقه صعلوك رافض الذل

لا يهاب الموت

هذه المبررات التي قدمها لزوجته وطلب منها ان تختار أي الامرين يجب ان ينتمي إليها زوجها.

وله العديد من الابيات التي احتوت على مبررات مقنعة للصعلكة إذ قال(16):

إذ المرءُ لم يطلِب معاشاً لنفسهِ شكا الفقرَ، أو لامَ الصّديقَ فأكثرا

وصارَ على الأذنَينَ كلّاً وأوشكت صلاتُ ذوي القُربى له أن تنكّـــرا

وما طالبُ الحاجاتِ من كل وجهةٍ من الناسِ إلاّ منْ أجدَّ وشمّرا

فِسرْ في بلادِ الله والتمسْ الغنِى تَعِشْ ذا يسارٍ، أو تموتَ فَتعذَرا

تحمل هذه الأبيات عدد من المبررات التي صاغها الشاعر في قالب شعري يحمل في طياته معاناته ومن هذه المبررات التي تحتم عليه ضرورة السير في بلاد الله الواسعة من أجل العيش بكرامة بعيدا عن الذل والإهانة، هذا الخروج وان كان قاسياً افضل من أن يجلس بشكوى الفقر والعوز أو أن يسأل الناس حاجته، وعلى الرغم من إدراكه خطورة خروجه ولكن الدوافع والباطنية لخروجه هي حفظ كرامته وكرامة اولاده من قهر المجتمع وذلك النفس بل يجب عليه أن يخرج لكي يوفر لهم حاجاتهم الأساسية وهذه المبررات كافية لكي يقدمها إلى زوجته، والمجتمع تبين لهم سبب تصعلكه(17)

هذه اللوحة يرسمها الشاعر كالآتي:

رفض الذل والخضوع السير في بلاد الله الواسعة العيش بكرامة

مجموعة من المبررات التي يقنع نفسه وزوجته بها.

وقال في ابيات أخرى(18):

هم عيروني أنّ أُمّي غريبةٌ؛ وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّر؟

وقد عيروني المالَ، حين جمعتُه؛ وقد عيروني الفقر، إذ أنا مقِترِ

وعيروني قومي شبابي ولمتي، متى ما يشاء في غنمٍ آخرَ جعفر

ولا أنتمي إلا لجارٍ مجاورٍ، فما آخِر العيشِ الذي أنظر؟!

يوضح لنا الشاعر في هذه الابيات انه عاش في قبيلته حياة مليئة بالهموم، والحزن يحيط بها الجفاء وازدراء، وقد عيروه بأمه الغريبة وانه جاء نهباً، وسلباً، فهو عاش حياة اغتراب في وسط قبيلته، فهذا الجزع من الحياة جعله يبتعد عن الناس ويتخذ طريقاً جديداً مليء بالمخاطر.

الخاتمة

1. التبرير من الوسائل التي يلجأ إليها المذنب لتخفيف الذنب عن نفسه.
2. كما أنه يبرر أفعاله للناس لكي يقفوا معه، وتشجيعه على سلوكه.
3. يقوم بكل وسيلة من أجل إقناع الأخرين أنه على حق وتصرفه مقبول.
4. نجد التبرير يبرز في شعر الحرب إذ يقوم الخصم بإقناع المجتمع ونفسه أن سلوكه في القتل أو الغزو وسيلة من أجل الدفاع عن النفس.
5. التبرير في شعر عروة بن الورد كان واضحا لا يحتاج إلى تأمل طويل في النصوص، وخصوصا التبرير أما زوجته.
6. يرى الشاعر عروة بن الورد أن الخرج من أجل العيش بكرامة أفضل حتى وإن كان نهايته الموت.
7. يرى المهلهل أن سفك الدماء من دون توقف إنما هي فقط للأخذ بثأر كليب، إذ إن جميع الدماء لا تساوي قطرة من دم كليب.

<u>الهوامش:</u>

1. المعاني مصطلحا في علم النفس، 76.
2. نظريات الشخصية، 54.
3. الديوان، 27.

الرب: الملك والسيد ويقصد به هنا كليباً.
آليت: اقسمت/ بهرج الشيء: اباحه
دم مبهرج: لا دية له.

4. درجة استخدام ميكانزمات الدفاع النفسي، 1144.
5. الديوان، 30

النخل: قطعها من رأسها، فالعقر القطع
العطاس: الهلاك/ واثأر: أخذ ثأره

6. الديوان، 73.

الشسع: سَير يمسك النعل أي خيط النعل الي يشده.

7. الديوان، 79.
8. الديوان، 67.

هامة: يريد ان الفتى يموت فتخرج منه هامة تعلو كل نشز. صير: حجارة تجعل كالحظيرة، زرباً للغنم.
تجاوب: أي قيل أن أصير هامة تجاوب هذه الهامة أحجار الكناس، الكناس: موضع يريد أنها إذا صوتت أجابتها أحجار الكناس بالصدى وتشتكي إلى كل معروف تراه، منكر: أي تصوت في كل حال إذا رأت من تعرف ومن تنكر.
سوء محضري: أي أغنيك على أن تحضري محضراً سيئاً يعني المسألة، أخليك: أي أقتل عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج.
وان فاز سهمي كفكم: أي إن سلمت وغنمت كفكم ذاك عن مقاعد عند أدار البيوت، وهي مكان قعود الضيوف.
ضبواً: الضبوء اللصق بالأرض، الرجل: الرجالة: يريد أنه يضبأ النهار ليخفي، ويسري بالليل، فتقو: هل انت تارك ان تغزو مرة يقوم على أرجلهم ومرة بمنسرٍ أي بالخيل.

9. Theories of psychotherapy and counseling,2
10. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،400.
11. الابعاد الإنسانية في شعر الصعاليك عروة بن الورد –انموذجا- 25.
12. الديوان، 68.
13. بنية القصيدة في شعر الصعاليك (عروة بن الورد انموذجا)، 30.
14. الديوان، 69
15. بنية القصيدة في شعر الصعاليك، 30.
16. الديوان، 77.
17. الديوان، 72.
18. الديوان، 72.

المصادر والمراجع

أولاً/ الكتب العربية

- الابعاد الإنسانية في شعر الصعاليك عروة بن الورد- انموذجا- دراسة وصفية تحليلية، كريمة بوزيان، مذكرة ماستر/ جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٢م.
- بنية القصيدة في شعر الصعاليك (عروة بن الورد انموذجا)، د. محمد خليل الخلالية، قسم اللغة العربية وآدابها- الجامعة الهاشمية الزرقاء، الأردن.
- درجة استخدام ميكانزمات الدفاع النفسي وعلاقتها بالتحصيل الأكاديمي لدى طالبات الجامعة في التعليم عن بعد خلال جائحة كورونا، اسراء عطية الحارثي، مج: 11، ع: 5، تشرين الأول، 2022م.
- ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية للطباعة والنشر.
- ديوان عروة بن الورد (أمير الصعاليك)، دراسة وشرح وتحقيق: اسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.
- ديوان عروة بن الورد، شرح: سعدي ضنّاوي، ط١, دار الجبل، بيروت- لبنان، ١٩٩٦م.
- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حنفي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
- المعاني مصطلحات في علم النفس، د. بديع عبد العزيز، مركز السيكولوجي للخدمات النفسية والتربوية- رهط/ النقيب، فلسطين، ٢٠١٨م.
- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، لويس معلوف، ط١، مطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- نظريات الشخصية، محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م.

ثانياً/ المصادر والمراجع الأجنبية:

- Theories of psychotherapy and counseling,sharf,R,Brooks/col, 2000.